المحاضرة الثالثة

نقد السلوكية

تم انتقاد السلوكيين من قبل العديد من التيارات. يمكننا الاستشهاد بالمحللين النفسيين (سيغموند فرويد) وخاصة علماء الإدراك أو المعرفيون (cognitivistes).

في الواقع، انتقد المحللون النفسيون علماء السلوك، لتجاهلهم اللاوعي. واختزال الواقع الإنساني في المظاهر التي تبدو للملاحظ الخارجي، ولم يفسروا الأسباب الحقيقية لخياراته. بالنسبة للمحللين النفسيين، لا ترى النزعة السلوكية سوى غيض من فيض من "الروح الإنسانية". في نظرهم يعتقد واتسون، بمساعدة التجارب المبسطة، التي أجريت على الحيوانات وحديثي الولادة والأطفال، أنه تم حل مشكلة النفس بأكملها على المستوى النظري، ولكنه في الواقع، يرجع ببساطة قصوى، أكثر العمليات النفسية تعقيدًا إلى شكل من أشكال ردود الفعل الشرطية.

بالإضافة إلى ذلك، كانت الانتقادات التي قدمها المعرفيون تتلخص في كون الباحث لا يمكنه فهم الانتقال من المثيرات إلى الاستجابات دون وضع افتراضات حول ما يحدث في "الصندوق الأسود".

السلوكية الجديدة

ترتكز النزعة السلوكية الجديدة على الفلسفة التجريبية الإنجليزية التي بموجبها تتيح التجربة الوصول إلى الواقع. ولذلك يطبق هذا التيار هذا المبدأ على دراسة السلوك البشري، أي أن المعرفة والشخصية والسلوك هي نتيجة تأثير البيئة. فهم يبعدون جميع الأسباب النفسية (النفس والروح والوعي) كما يبعدون أيضا العوامل الفسيولوجية التي ذكرها واتسون. ونتيجة لذلك، فإن السلوك الذي يمكن ملاحظته فقط هو الذي يثير اهتمام الباحث ومنه كيف تشكل البيئة هذا السلوك.

ترجع بداية النزعة السلوكية الحديثة إلى مقال نشره سكينر بعنوان "علم التعلم وفن التدريس" سنة (1954) والذي يدعو فيه إلى إتباع مقاربة علمية لعمليات التعلم. في هذا

العمل، يتصور المؤلف مجموعة من التطبيقات على التعلم الإنساني وفق ما يسمى الاشتراط الإجرائي والتي تم تطويرها خلال العديد من التجارب التي أجريت على الحيوانات.

هناك نوعان مختلفان من الاشتراط: الاشتراط المتجاوب، المطروح من خلال السلوكية الكلاسيكية، والاشتراط الإجرائي، الذي تطرحه السلوكية الجديدة والذي يعتبر عملية تهدف إلى اكتساب سلوك جديد من خلال إنشاء رابط بين المثير والاستجابة. هذه العملية ممكنة من خلال إجراء عمليات التعزيز.

يتميز الاشتراط الإجرائي بنشاط تعليمي، ويؤدي الفرد دورًا نشطًا في تعلمه. يتميز الاشتراط الإجرائي بالتغذية الراجعة (feedback) المقدمة في شكل عامل معزز يسمح للمتعلم بالحكم على نتائج استجاباتهم.

ينظر سكينر إلى المعلم على أنه "مهندس السلوك"، باستخدام وسائل تعليمية مبرمجة. ويتم تعريف التعلم من حيث المنتجات (الإجابات الصحيحة) ويعتمد على الحالات التي توفرها البيئة التعليمية.

المبادئ التعليمية الرئيسية للسلوكية الجديدة

• مبادئ التعزيز واستخدام المعززات: وتعتبر من أهم النتائج التعليمية للسلوكية الجديدة، تقريبا جميع المعززات مشروطة (تنتقل ثقافيا). وبالتالي، هناك خمس فئات من المعززات المشروطة ("المكتسبة") في البيئة المدرسية، وهي: المعززات المادية، المعززات بالامتياز أو النشاط، المعززات الرمزية، المعززات الاجتماعية والمعززات المعلوماتية.

• برامج التعزيز: التي تتميز ببرنامجين:

البرنامج المستمر: تعزيز السلوك المستهدف في كل مرة يتم ملاحظته.

البرنامج المتقطع: تقدم المعززات بشكل متقطع، أي في مناسبات معينة فقط، وفقًا لمعيار الكمية (النسبة) أو الوقت (الفاصل الزمني).

• التقنيات المستخدمة لتنفيذ التعلم الجديد: الذي يتميز بالتشكيل (shaping) أو تعزيز التقريبات المتتالية. أيضًا عن طريق النمذجة أو التعلم بالنموذج (modeling). بالإضافة إلى تلاشي أو توهين أو تقليل المثيرات (fading). وأخيرًا عن طريق التشجيع الجسدي أو اللفظي أو الإيمائي (prompting).

• أسلوب تحليل المهام: تُعرف أيضًا باسم التسلسل الهرمي للتعلم أو وصف المهمة (task description). وهي تتألف من ثلاث وظائف: تحديد المتطلبات اللازمة للمهمة؛ تحديد الخطوات التي تؤدي إلى إتقان المهمة؛ إجراء تحليل للأخطاء.

• المساهمات الأخرى للسلوكية الجديدة في التعليم والتي تتجلى في المرافقة غير الرسمية أو الرسمية، والتدريس بالمرافقة وتقنيات التغذية الراجعة.

غالبًا ما يتم تصنيف النموذج السلوكي كما طوره سكينر على أنه راديكالي بمعنى أنه يرفض أن يأخذ في الاعتبار في تفسيره للسلوك الإنساني أي عنصر لا يمكن أن يكون موضوعًا للملاحظة المباشرة.

أما بالنسبة لمؤلفين آخرين مثل هال أو جوثري اللذين اعتمدا مواقف أكثر دقة فيما يتعلق بالنموذج السلوكي.

بالنسبة لهال، يتم وضع السلوك الإنساني تحت سيطرة المثيرات ولكن بعض هذه المثيرات يمكن أن تكون داخلية، وهو ما سيطلق عليه المتغيرات الوسيطة.

يتحدى جوثري بعض الأفكار المركزية للسلوكية من خلال التأكيد على أن التكرار ليس ضروريًا للتعلم (يمكن أن يحدث التعلم في محاولة واحدة وفقًا لعملية الكل أو لا شيء) أو أن "آلية التعلم داخل الفرد ". من خلال هذا التأكيد الأخير، يتبنى موقفًا يتعارض مع الفكرة العزيزة على السلوكيين بأن السلوك يتم وضعه تحت السيطرة الحصرية للمثيرات الخارجية.

تم تطوير أساليب وتقنيات متعددة، مستوحاة من التيار السلوكي الجديد، خلال القرن العشرين ولا تزال مستخدمة على نطاق واسع، من قسم المدرسة إلى التدريب

العسكري، بما في ذلك التجارة والصناعة، إلخ. يتم تطبيق هذه التقنيات في إطار ملائم وتحت ظروف معدلة (على سبيل المثال في التعليم الفردي).